أثر السنة النبوية في توجيه العلوم التربوية والاجتماعية

الأستاذ الدكتور: حسن رمضان فحلة

كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين الذي له ما في السماوات والأرض وهو على كل شيء قدير، والصلاة والسلام على خير مرب عرفته البشرية حتى اليوم محمد بن عبد الله الذي أرسله الله عز وجل ليبلغ الناس ما نزل عليه من السماء، فيتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب وما أنعم الله عليه من الحكمة والهدى والتربية القويمة القيمة، قال الله تعالى: ﴿**هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته، ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين، وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم**﴾ "الجمعة: 2-4".

جاءت السنة النبوية، توضح وتبين ما جاء في القرآن الكريم لقوله تبارك وتعالى: ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم**﴾ "النحل: 44".

وفيها بيان تشريعات وآداب أخرى سواء كانت مستنبطة من القرآن الكريم، أو بما يراه من المعاملات والأخلاق التي تستقيم عليها حياة الناس، فكان عليه الصلاة والسلام مربيا عظيما فذا.

ووضع النبي ﷺ أركان التربية النبوية شاملة لكل حياة الإنسان، وكل أسباب هذه الحياة "وأقام حياة الإنسان على محور توازني... على أن الإنسان كل يتألف من أجزاء لابد أن تأخذ قسطا من العناية وأن تتوازى فالروح والجسد والعقل والنفس... الخ، كل هذا له قيمته في الإسلام، وكل جزء له وظيفته التي يقوم بها، لا يجوز للجزء الآخر أن يطغى عليها"[1].

وكان عليه الصلاة والسلام يراعي حاجات الطفولة، وطبيعتها، مهتما بالفروق الفردية فيما بين الأطفال مع الاستفادة من مواهبهم واستعداداتهم وطبائعهم.

وفي الوقت نفسه انصب اهتمامه على ما عند الشباب من غرائز وميول ليقيمها على الواقعية والمثالية خشية الانحراف والضلال، كما أنه اهتم ببقية عناصر المجتمع المرأة والرجل على حد سواء، وعلاقة كل منهم بالله والإسلام والنفس والحياة والكون.

وبذلك جعلت السنة النبوية الإنسان مدار العملية التربوية من المهد إلى اللحد. مقدمة المنهج التربوي المتسم بالتكامل والشمولية والواقعية والمثالية: من أجل تنقية الروح والنفس، والجسد وما ينجم عن ذلك من علاقات اجتماعية وإنسانية، فكان النبي ﷺ يدعو الناس إلى الإيمان ويحثهم على تطبيق شريعة الله عز وجل، لتكميل فطرتهم، وتهذيب نفوسهم شيئا فشيئا، وتوحيد نوازعهم وقلوبهم، وتوجيه طاقاتهم وحسن استغلالها للخير والسمو: طاقات العقل، وطاقات الجسم، وطاقات الروح، لتعمل معا وتتجاوب للهدف الأسمى، وبذلك يسمو الفرد وينهض المجتمع"[2].

أجل: إنها السنة النبوية التي فيها الهدى والخير، والرأفة والرحمة، والحفظ والرعاية، وتسخير الفطرة وتسييرها إلى الهدف النبيل والمقصد السامي القويم. فكان منها جيل قوي بالإيمان والعمل الصالح، والعبادة والطاعة، والبناء والتشييد، على هدى من الله تعالى ورسوله ﷺ.

وقد أمر الله تعالى بطاعة النبي ﷺ واتباع سنته، فقال تعالى: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾ "الحشر:7" حتى أن طاعة الرسول مقرونة بطاعة الله عز وجل: ﴿**وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون**﴾ "آل عمران: 132" وحث على الاستجابة لما يدعو، فقال سبحانه:﴿**يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم**﴾ "الأنفال: 34". وفي الوقت نفسه حذر من مخالفة

أمره فقال عز وجل:﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا﴾ "الأحزاب: 36".

من هذا كله لابد لكل واحد من المسلمين من الرجوع إلى سنة النبي ﷺ في أمور الإيمان والإسلام والمعاملات والأخلاق، وأخذ ما الناس بحاجة إليه من أمور التربية والتعليم، وتوجيه العلوم التربوية والاجتماعية والإنسانية وهذا ما حث عليه في قوله:"تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي"[3]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال:"كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى" قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال:"من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى"[4]

واستجاب الصحابة والتابعون ومن تبعهم بإحسان، إلى رسول الله ﷺ فبلغوا العلم عنه إلى من بعدهم، فكانوا روادا في العلم والحضارة الإنسانية، حيث إنهم أبدعوا في مجال التربية الروحية إيمانا ويقينا، وفي مجال التربية العلمية في علوم الطب والكيمياء والجبر والصيدلة والزراعة والطبيعة، والتشريح والضوء، والجغرافيا وغيرها... حين كان الغرب يعيش ظلام القرون الوسطى[5].

إلا أنه جاءت حقبة من الزمن ابتعد فيها المسلمون عن القرآن والسنة واتبعوا المبادئ والنظريات والمناهج الغربية التي أخذ أهلها بتثبيتها في الحياة، وإقصاء وجهة النظر الإسلامية وتشويهها وإثارة الشكوك فيها وكان من نتيجة هذه السياسة "أن وجدت في العالم الإسلامي الشخصية المتناقضة في الفكر والسلوك حتى أصبح الجيل المسلم ركاما من التناقضات، ونهبا للعديد من الأفكار، واصبح غارقا في محيط النظريات والآراء، وأضحى لا لون له ولا ميزة"[6].

وجاءت التربية الحديثة التي هي ثمرة من نظريات التعلم والتعليم الغربية، ومن الفكر الغربي الداعي للمدنية الغربية التي تقوم على أساس فصل الدين عن الحياة، وهذا يدل دلالة واضحة أن هذه النظريات والمبادئ والأفكار لا تمت إلى

الإسلام بصلة مطلقا، كما أنها تتنافى مع العقيدة الإسلامية وما يتصل بها من معارف، وما ينبثق عنها من تعاليم وقيم.

يقول أستاذنا الدكتور "مصطفى السباعي"-رحمه الله تعالى- "نحن في عصر اضطربت فيه النظم العالمية المتعددة، وعجزت عن إيجاد السلام والرخاء لشعوب العالم، ومهما يكن في قادة الأمم المسيطرة من عيوب أدت إلى هذا الاضطراب، فإن الذي لا ريب فيه عندنا أن الأسباب المباشرة لشقاء العالم هي تلك النظم التي لم تثبت حتى الآن صلاحها لحل مشاكل الإنسانية على وجه يريحها من الحروب والمنازعات، ويبعدها عن جو القلق الذي نعيش به في أعقاب الحروب العالمية الدامية، بعد أن كانت تعيش خلال الحروب في جو قاتم من الدماء والدمار والخراب"[7].

إذن: فالأمة خاصة، والعالم الإسلامي عامة بحاجة إلى البحث عن السبيل والوسائل والطرائق لضبط السلوك، وتوجيه العلوم نحو العلم والمعرفة والتربية الهادفة الرشيدة، وسبيل ذلك مصادر التشريع الإسلامي التي فتحت أمام العالم آفاقا ومجالات للعلم والمعرفة التي كان لها الفضل في بناء الحضارة الإنسانية المتكاملة التي ما تزال معالمها بارزة في كل ميدان من ميادين العلوم التربوية والتطبيقية والاجتماعية والإنسانية، فإن وفقنا في حمل مشعلها الوضاء أعدنا للحياة السعيدة مكانتها بين المسلمين وغيرهم.

"ومصادر التشريع الإسلامي معروفة لدى المسلمين موثوقة محفوظة، ولا شك في أن السنة المطهرة، وهي ثانية هذه المصادر، أوسعها فروعا، وأحفلها نظما، وأرحبها صدرا، إذ كان كتاب الله الكريم متضمنا للقواعد العامة في التشريع وللأحكام الكلية في الغالب، مما جعله خالدا خلود الحق، بيد أن السنة الكريمة عنيت بشرح هذه القواعد، وتثبيت تلك النظم، وتفريع الجزئيات على الكليات، مما يعرفه كل من درس السنة دراسة وافية، ومن ثم لم يكن للمشرعين من علماء الإسلام

مندوحة من الاعتماد على السنة، واللجوء إليها والعناية بها والاسترشاد بأحكامها المنصوصة على أحكام الحوادث الطارئة"[8].

من أجل ذلك جاء هذا البحث ليبين دور التربية النبوية وآثارها في توجيه العلوم من خلال ما تهدف إليه إلى تنشئة الأجيال الحاضرة والقادمة على قيم الإسلام وتعاليمه التي لم تكتف بالنظر إلى ضبط السلوك الإنساني وتوجيهه كما جاء في نظريات التعلم الغربية.

وسيقتصر البحث على ما في السنة النبوية من مبادئ وأهداف، وطرائق وغايات تدعم بعضها البعض في تشكيل السلوك وتوجيهه وضبطه، فجاء في ثلاثة مطالب هي:

المطلب الأول: ضبط السلوك وتوجيهه بين نظريات التعلم والسنة النبوية.
المطلب الثاني: خصائص التربية الإسلامية (النبوية) وأهدافها.
المطلب الثالث: ميادين التربية النبوية وطرائقها.

المطلب الأول: ضبط السلوك وتوجيهه بين نظريات التعلم والسنة النبوية

تحتاج دراسة الأسس والوسائل التي يتوصل بها الإنسان إلى عملية التعلم من معرفة المصطلحات الآتية:

أولا/ العلم[9]: هو جمع المعرفة والمعلومات حول ظاهرة ما بطرق موضوعية تقوم على الملاحظة العلمية والتجريب، بهدف تفسيرها والتنبؤ بها وضبطها. فالعلم هو بمثابة مجموعة من المعارف تعتمد في تحصيلها على منهج علمي موضوعي ويهدف إلى تحقيق ثلاثة أهداف هي:

الفهم: ويتمثل في محاولة تفسير الظواهر وتحديد أسبابها الحقيقية والعوامل المؤثرة فيها.

التنبؤ: ويعني توقع حدوث الظاهرة في ضوء بروز بعض المؤشرات الدالة عليها مثل أسبابها أو عواملها.

الضبط: ويشير إلى إمكانية التحكم بالظاهرة وتوجيهها من خلال التحكم بأسبابها وعواملها.

ثانيا/ التعلم، مفهومه وخصائصه وأهميته[10]: التعلم سمة وقدرة يتميز بها الكائن البشري عن كافة المخلوقات الأخرى، فهو يشتمل على الأنماط السلوكية البسيطة والمعقدة منها، ويتجلى في مظاهر سلوكية متعددة عقلية واجتماعية وانفعالية ولغوية وحركية، تتمثل في التغير في الأنماط السلوكية وفي الخبرات، ويستدل عليها من خلال السلوك الخارجي القابل للملاحظة والقياس.

إذن: عرف علماء النفس التعلم بدلالة السلوك الخارجي نتيجة:

- الخبرة (كرونباخ: 1977).
- النشاط أو التدريب أو الملاحظة (كلوزماير).
- الخبرة الناجحة (كلين: 1978).

وعرفه آخرون بدلالة القدرات أو العمليات المعرفية (بياجيه) أو تغير في قابليات الأفراد التي تمكنهم من القيام بأداء معين (جانية) أو التغير في التبصر والسلوك والأداء والدافعية أو مجموعة منها (بيجي).

فالتعليم هو: "العملية الحيوية الديناميكية التي تتجلى في جميع التغيرات الثابتة نسبيا في الأنماط السلوكية والعمليات المعرفية التي تحدث لدى الأفراد نتيجة لتفاعلهم مع البيئة المادية والاجتماعية".

ونظرا لأهميته في حياة الأفراد والمجتمعات، فقد نال اهتماما من العديد من الفلاسفة والمفكرين منذ القدم حيث قدموا لذلك تفسيرات مختلفة لهذه العملية فمنهم من اعتبره بمنشأ فطري (أفلاطون) وآخرون بمنشأ بيئي (أرسطو).

إلا أن ما جاء به أولئك الفلاسفة وعلماء النفس لم يكونوا السابقين المبدعين بل سبقتهم السنة النبوية إلى ذلك، بدليل قول النبي ﷺ:"كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"[11]. فهذا الحديث يشتمل على المنشأ الفطري، فالولد منذ خلقته مفطور على التوحيد الخالص، والدين القيم والإيمان بالله تعالى. قال تعالى:﴿**فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾.

كما يشمل على المنشأ البيئي حيث يبدأ التعلم بمسؤولية الوالدين على تنشئة الأولاد على عقيدة الإيمان والإسلام، فهذه هي التربية المنـــزلية.

وقال عليه الصلاة والسلام:"مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل حامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك (يعطيك) أو تشتري منه، أو تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، أو تجد منه ريحا منتنة"[12] كما حذر من قرين السوء فعنه ﷺ فيما رواه ابن عساكر:"إياك وقرين السوء فإنك به تعرف"، وفي ذلك صورة أخرى من السنة النبوية المؤكدة على أثر المنشأ البيئي في التربية والتعلم.

ومن الجدير بالذكر أن الاهتمام بموضوع التعلم لا يقتصر على المجالات التربوية فحسب، بل يتعدى ذلك ليشمل كافة المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

ومن خصائص التعلم:

1- هو عملية تنطوي على اكتساب سلوك أو خبرة أو التخلي عنها أو تعديلها.

2- وهو عملية تحدث نتيجة لتفاعل الفرد مع البيئة ماديا واجتماعيا.

3- وهو عملية لا ترتبط بزمان أو مكان محدد، فهي تبدأ منذ الولادة وتستمر طيلة حياة الإنسان غير مرتبطة بوقت من الأوقات، ولا بمكان محدد كمؤسسة تربوية معينة، فالبيئات التعليمية متعددة ومتنوعة.

4- وهو عملية تراكمية تدريجية من جراء تفاعل الفرد مع المثيرات والمواقف المتعددة.

5- وهو عملية شاملة لكافة السلوكات والخبرات المرغوبة وغير المرغوبة.

6- وهو عملية قد تكون مقصودة أو غير مقصودة فتحدث على نحو تلقائي.

7- وهو عملية مرتبطة بجميع المتغيرات الثابتة نسبيا بفعل عوامل الخبرة والتدريب.

8- وهو عملية متعددة المظاهر لأنها تتضمن كافة التغيرات السلوكية في المظاهر العقلية والانفعالية والاجتماعية والحركية واللغوية والأخلاقية.

وبهذا يكتسب الفرد العادات والقيم وقواعد السلوك العام، وفي الوقت نفسه يطور ما لديه من وسائل وأساليب[13].

ولهذا قام العلماء والدارسون ببيان طبيعة التعلم ومعرفة آلياته والوقوف على الشروط المؤثرة فيه إيجابا وسلبا وراء الوصول إلى قوانينه الخاصة. وقد انقسموا حيال دراسة مظاهره إلى اتجاهات وتيارات تبلورت على شكل ما يعرف باسم نظريات التعلم.

وفيما يلي تعريف بالنظرية:

مفهوم النظرية[14]:

نظرا لفروع العلوم المختلفة فقد تنوعت النظريات التي تقدم تفسيرات وتوضيحات للظواهر والأحداث التي تتناولها، وتتباين النظريات باختلاف الهدف منها كالنظريات الوصفية أو التحليلية، أو المعيارية أو العلمية...

والنظرية بالمفهوم العام: "هي مجموعة من القواعد والقوانين التي ترتبط بظاهرة ما بحيث ينتج عن هذه القوانين مجموعة من المفاهيم والافتراضات والعمليات التي يتصل بعضها ببعض لتؤلف نظرة منظمة ومتكاملة حول تلك

الظاهرة، ويمكن أن تستخدم في تفسيرها والتنبؤ بها في المواقف المختلفة"[15].

وللنظرية عدد من الخصائص هي:

1- هي وسيلة وغاية في الوقت نفسه.

2- هي مسألة نسبية حيث لا توجد نظرية مطلقة.

3- تحدد قيمتها من خلال الاختبار العملي لا البرهان الجدلي وذلك من حيث: الأهمية والدقة والوضوح والبساطة والنفعية والصدق التجريبي.

4- يبدو الهدف الأساسي للنظرية في توليد المعرفة ممثلا في صياغة القوانين والمبادئ العلمية الثابتة القابلة للتطبيق العلمي.

نظريات التعلم:

عكف العلماء على دراسة نظريات التعلم فظهرت عديدة ومختلفة من حيث نظرتها لجوهره والشروط الخاصة به، فقسموها إلى زمرتين رئيستين هما:

الترابطية والمعرفية:

أولا- الربطية القديمة: لدراسة التعلم تاريخ طويل ابتداء من تصور (أرسطو) للتعلم، بأنه عملية ربط أو اقتران، والفكرة الرئيسية عنده هي أن المعرفة والعقل يتكونان من احساسات إنسانية تتشابك معا عن طريق الترابط، ولا تتوافر لدى الكائنات أي معرفة فطرية فهي تولد وعقولها صفحة بيضاء تخط عليها البيئة ما تشاء، ويتم وفقا لقوانين الربط أو الاقتران أو التجاور الزماني أو المكاني.

ثانيا- الربطية الجديدة: المثير والاستجابة: ترى نظرية المثير والاستجابة أن السلوك يتكون أساسا من المثيرات والاستجابات، وأن التعلم هو عملية الربط بين المثيرات والاستجابات، بحيث إذا ظهر المثير الذي ارتبط باستجابة معينة مرة أخرى فإن الاستجابة التي ارتبطت به سوف تظهر هي

الأخرى، كتعلم الطفل اللغة عن طريق تكوين ارتباطات بين الألفاظ والأشياء التي ترمز لها هذه الألفاظ.

وترى هذه النظرية أن الارتباطات هي الوحدات الأساسية والأولية للسلوك وأن السلوك المتعلم ما هو إلا مجموعة أو تنظيم معين من الارتباطات.

ولهذه النظرية بضعة اتجاهات تتعاون من حيث القيمة التي تطرح للعوامل المسؤولة عن أحداث عملية الربط، وهذه الاتجاهات تتمثل في نظرية بافلوف عن الفعل المنعكس الشرطي، والنظرية السلوكية القديمة والجديدة.

ثالثا- المعرفية: وهي التي تهتم بالعمليات التي تحدث داخل الفرد مثل: التفكير والتخطيط واتخاذ القرارات والتوقعات اكثر من الاهتمام بالمظاهر الخارجية للسلوك، وتضم الجشطلتيه (التعلم بالاستبصاء) ونظرية النمو المعرفي "سياجيه" التي يطلق عليها اسم "النظرية البنائية" التي انصب اهتمام منظرها على مسألتين هما:

1- كيف يدرك الطفل هذا العالم والطريقة التي يفكر من خلالها بهذا العالم؟

2- كيف يتغير إدراك الطفل وتفكيره بهذا العالم من مرحلة عمرية إلى مرحلة أخرى وكل ذلك يرتبط بعدد من العوامل هي: (النضج، التفاعل مع العالم المادي، التفاعل مع العالم الاجتماعي، عملية التوازن التي تأخذ دورا هاما في النمو العقلي).

ولدى مقارنة النظريتين (البنائية والسلوكية) يتبين أن كليهما يتمتع بتطبيقات جيدة في التربية، مما دفع السيكولوجيين والتربويين في تطوير وتحسين التعلم، ولسوف يقتصر هذا البحث في الاطلاع على أهم مبادئ النظرية السلوكية الإجرائية (لسكنر) لما لها من تأثير كبير في النظرية السلوكية للتدريس من حيث النظر إلى أهداف التعليم والخبرات وطرائق التدريس من نواح مختلفة، وهذه النظرية تهتم بالسلوك الظاهر للمتعلم، وبذلك يتجلى دور المعلم في تهيئة بيئة التعلم لتشجيع الطلاب لتعلم السلوك المرغوب.

وسنرى عند دراسة التربية النبوية أنها تأخذ بما جاءت به هذه النظرية فيما يتعلق بالسلوك إلى جانب ما نظرت إليه النظرية البنائية حيث تهيئ بيئة التعلم لتجعل الطالب يبني معرفته[16].

المبادئ الأساسية لنظرية سنكر (التعلم الشرطي الإجرائي)

اهتم سكنر بدراسة الظاهرة السلوكية من خلال دراسة السلوك نفسه ووجّه عنايته للعلاقة بين المثيرات والاستجابات، وهو ينتمي إلى مدرسة **ثور نديك** فهو ربطي منشأه، ويهتم بالتعزيز كعامل أساسي في عملية التعلم.

" ولذلك تحددت مفاهيم سكنر بحدود الملاحظات المباشرة بحيث تعطي وصفا للوقائع كما تحدث، وللملاحظات المشاهدة، ولا تستمد معناها من مجالات أخرى لا ترتبط بها، فالعلم عنده من هذه الملاحظات، ويهدف إلى الكشف عن العلاقات التي ترتبط بين الوقائع المشاهدة ليخرج منها بوصف بسيط مناسب أو بقاعدة أو قانون يفسر الوقائع أو الظاهرة موضوع الدراسة.

وهو عن هذا الطريق ينهج المنهج العلمي الوصفي الذي تسير وفقا له العلوم الطبيعية والتي حققت معظم نتائجها وقوانينها من خلاله[17]".

ويرى أن تشكيل سلوك المتعلم يتم وفق خطوات ثلاث[18] هي:

أ- تحديد العناصر السلوكية السليمة وغير السليمة بوضوح وبطريقة إجرائية خاضعة للملاحظة والقياس.

ب- تحديد المعززات الفعالة في معالجة مواقف التعلم المشابهة أو مواقف تعديل التعلم.

ج- توظيف الأساليب والقواعد التي تضمن لكل تلميذ أن يحصل على التعزيز المناسب حين يظهر تقدما في أداء السلوك المراد تشكيله أو تعديله.

ويبين أن التعزيز نوعان: تعزيز إيجابي وتعزيز سلبي، وهو ما أطلق عليه بـ"المثيرات البعدية التعزيزية والمثيرات البعدية العقابية".

فالتعزيز الإيجابي: يقوّي ويثبت سلوك المتعلم، ويكون في عدة أنواع:

مادية: تتمثل بالطعام والحلوى والمكافآت النقدية.

اجتماعية: وتتمثل في المديح والإطراء والثناء والابتسامة و...

رمزية: وتتمثل في العلاقات والرموز والصور والقصص وشهادات التقدير.

والتعزيز السلبي: وهو ما يؤدي إلى الكف عن السلوك غير المرغوب فيه ويتمثل عادة في العقاب كالزجر أو التوبيخ، حيث تكون مادية واجتماعية ورمزية وهناك بدائل عن العقاب يرى بعضهم أنها تغني عن العقاب، وقد تغني عن الثواب ويرى البعض الآخر أنها لا تغني عن العقاب، ولكنها تخفف من استخدامه أو وقوعه، وذلك عن طريق منعها أو تقليلها لدواعيه، وهي تضم الأساليب التالية:

- التساهل أو طريقة الحرية، فهي توفر الجهد المبذول في الإشراف والمراقبة وتطبيق القوانين.
- القبالة وهي إحدى طرق تعديل السلوك دون الظهور بمظهر من يمارس التحكم.
- الإرشاد بمعنى البستنة أي توجيه سلوك الطفل كالعناية بالنبتة الصغيرة.
- الاعتماد عن الأشياء، فيمكن للطفل أن يتعلم عن الأشياء، من الأشياء نفسها.
- الاعتراف بالمسؤولية الاجتماعية شرطا ضروريا للتحسن في التربية الأخلاقية لأنها نتيجة تفاعل الفرد مع بيئته الاجتماعية.

وذكر طائفة أخرى من البدائل أهمها مراعاة الفروق الفردية، واغتنام الفرص، والترويح، والتدرج في التوجيه. وهذه الطائفة هي التي اهتمت بها التربية النبوية.

وهذه التقنية في تعديل السلوك يمكن تطبيقها على كل من المعلم والمتعلم على حد سواء، لكل مشكلات التعلم في الفصل الدراسي. حيث تكلم فيما بعد عن التعليم الذاتي المفيد في تحسين العملية التعليمية وتقدمها.

ويؤكد الباحث في هذا المقام على مكانة السنة النبوية (التربية النبوية) وأهميتها في ضبط السلوك وتوجيهه.

الثواب والعقاب في التربية النبوية:

"فطر الله عز وجل الإنسان على الرغبة في اللذة والنعيم والرفاهية وحسن البقاء، والرهبة من الألم والشقاء وسوء المصير، والكائنات الحية – تقريبا– تبتعد عما يؤذيها حال شعورها به، وتقبل على ما يلدها ويحقق استمرار الحياة لها أو لجنسها.

وميز الله تعالى الإنسان بالقدرة على التعلم والاعتبار والتفكير لما بعد الفترة التي يعيشها، والعمل والتحضير للمستقبل، والتمييز من الضار والنافع والاختيار بينهما، آجلا حينا آخر"[19]. مثال ذلك الرغبة في الزواج منذ البلوغ، فالمجتمع كالوالدين والأصدقاء والأقارب يرغبون الشاب بزواج هانئ مستقر إن هو صبر ونال الشهادات والقدرة على الكسب، كما يرهبونه من النتائج الوخيمة إن هو اقترف لذة غير مشروعة أو تسرع في زواج غير مناسب ولا ملائم. وينطبق على هذا المثل ربط الأفعال الأخرى كالطعام والأمر بالمعروف...الخ بالثواب والعقاب.

إذن: كل عمل ليكون ناجحا ينبغي ارتباطه بفكرة الثواب والعقاب والمنفعة والفائدة. وما قامت الشرائع والقوانين والأنظمة السماوية منها والوضعية إلا وكانت فكرة الثواب والعقاب عمادا أساسيا لها"[20]. وذلك من اجل ضبط السلوك والترغيب في المتابعة.

"والإنسان ما يزال يحتاج إلى ما يشوقه (تعزيز إيجابي) للقيام بما يطلب منه سواء أكان ذلك مما يعود عليه هو بالنفع مباشرة أم لا، كما أنه بحاجة إلى ما يعزز سلوكه واستجاباته، بغض النظر عن كون هذا المعزز أو ذلك الشوق ذاتيا أو خارجيا.

ثم إن المجتمع ما يزال بحاجة إلى ما يكف اليد التي تتعرض لمصالحه. والى ما يضمن له الأمن والاستقرار، الأمر الذي يوحي بأن الصواب قد يكمن في التوفيق بين الحوافز الذاتية والخارجية بحيث يدعم بعضهما بعضا في ضبط السلوك، ثم في التوفيق قدر الإمكان بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع بحيث يخدم بعضهما بعضا عدلا وإحسانا[2]. فالفرد يثاب إذا أطاع وعمل صالحا، ويعاقب إذا اعتدى وظلم.

وإذا كان **سنكر** بين خطوات تشكيل السلوك – كما ذكرنا سابقا، فإننا نجد أن سلوك الإنسان الاجتماعي في الإسلام مراقب من عدة نواح، أهمها:

– سلوكه بحد ذاته: مرغوب فيه أم لا؟

– طريقة سعيه لمصلحته: إيجابية أم سلبية؟

– نتيجة سلوكه: نجاح أم فشل؟

وبالتالي، فلفكرة الثواب والعقاب أهمية كبيرة في ضبط السلوك وتوجيهه لما في الثواب من أثر في الاستجابة المثابة سريانا إيجابيا، ولما في العقاب من جدوى في تعديل السلوك، إلا أنه لا بد من أن يكون العقاب معتدلا معقولا خشية الوقوع في أخطاء. فأسلوب الترغيب والترهيب لا يمكن الاستغناء عنه في كل زمان ومكان. وهذا ما اتجه إليه المسلمون في التربية الإسلامية التي تلقوها عن الكتاب والسنة النبوية.

وللترغيب والترهيب مميزات في السنة النبوية أهمها:

1– الإقناع والبرهان: وعلى الأخص في تربية الإيمان وغرس العقيدة الصحيحة في نفوس الأطفال، فيرغبون بالجنة ويرهبون من عذاب الله تعالى فيعطيهم ثمرة سلوكية في الحياة.

2- التصوير الفني الرائع لنعيم الجنة أو لعذاب جهنم بأسلوب واضح يفهمه الجميع: مثال ذلك قصة الشفاعة يوم القيامة وغيرها من القصص النبوية عن مواقف القيامة.

3- الاهتمام بتربية العواطف الربانية: كعاطفة الخوف من الله تعالى التي لها أثر كبير بالسلوك الإيجابي، في العبادات والمعاملات والأخلاق، وكذا عاطفة **الرهبة والخشية والخشوع.** لأن في العواطف قوى دافعة للسلوك، مغذية للطاقات البشرية بحيث تهيمن وتنظم وتسمو بالدوافع الغريزية عند المؤمن

وبالإضافة إلى ذلك الميل إلى الجنة، والأمل والرجاء في رحمة الله تعالى وثوابه وهذا ما أخذ بين المؤمنين إلى المضي قدما في سبيل الله تعالى، كما فعل ذلك الصحابي الذي ألقى بالتمرات التي بين يديه وقال: بخ بخ، هل بيني وبين الجنة إلا أن أقاتل في سبيل الله؟ ومضى مجاهدا الأعداء حتى استشهد.

4- الموازنة بين ضبط الانفعالات والعواطف: حتى لا يطغى الخوف على الرجاء فيقنط المذنب من عفو الله تعالى، مع أن النهي عن اليأس والقنوط واضح في الشريعة الإسلامية، وحتى لا يطغى الفرح بزوال الشدة فينسى الإنسان عقاب الله تعالى وقدرته، فلهذا يتطلب الأمر الموازنة بينهما. فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال:"لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد"[22] ونستعرض فيما يأتي أهم بدائل العقاب في التربية النبوية:

أولا- مراعاة الفروق الفردية:

الناس على درجات في الفهم والوعي وحسن الإدراك ومعرفة المقصود من الكلام، فكل فرد من الأفراد يتميز عن غيره بصفات خلقية و خلقية ومدارك عقلية، وميول مزاجية، ولذا بات من الواجب على المربي والداعية مراعاة كل فرد وفق ما يملك من صفات ليستفيد الجميع، دون أن يفسح المجال لوجود الطبقات في المجلس

الواحد الذي يؤدي إلى الفشل تارة، وفقد الثقة، وضياع الدرس، وهذا يتطلب الأسلوب الصالح لجميع الأفراد، والتنوع في أساليب العرض[23]، كالطبيب بالنسبة للمرضى فانه يعطي لكل واحد منهم العلاج المناسب لمرضه، ولا يعطي علاجا واحدا للجميع، فانه فعل ذلك سبب لهم الأضرار فكذلك الشيخ لو أشار على المريدين (التلاميذ) بنمط واحد من الرياضة (أو التعلم) أهلكهم وأمات قلوبهم، بل ينبغي أن ينظر في مرض المريد وفي حاله وسنه ومزاجه وما تحتمله بنيته من الرياضة، ويبني على ذلك رياضته أو تعليمه وتوجيهه[24].

وقد وضع النبي ﷺ أصول هذا الاتجاه، فكان عليه الصلاة والسلام يخاطب الناس على قدر عقولهم، ويرعى الناس حسب قوة إدراكهم، ويرفق بالضعيف والجاهل والأعرابي، ويعطي كل فرد ما يناسبه من الأحكام والمواعظ والسيرة العطرة مملوءة بالأمثلة، حيث قال: نحن معشر الأنبياء أمرنا أن نحدث الناس على قدر عقولهم[25].

وكان "علي" كرم الله وجهه يوصي العلماء بقوله: "حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟" وقد علق البخاري على ذلك بقوله أن في ذلك دعوة لمراعاة مستوى فهم المتعلم فلا يعطى ما يصعب عليه استيعابه[26] ويروى عن ابن مسعود قوله: "ما حدثت قوما حديثًا قط لم تبلغه عقولهم إلا كان فتنة على بعضهم". وفي هذا تأكيد على ألا يلقى على المتعلم إلا ما يتأهل له، لأن ذلك يبدد ذهنه ويغرق فهمه.

ثانيا – التدرج والتنويع في التعليم:

أ- للتدرج صلة وثيقة بمراعاة الفروق الفردية، بدليل أن القرآن الكريم نزل منجما، وكانت أحكام الشريعة تنـــزل على المسلمين بالتدريج، فكانت الفرائض تأتي متدرجة، والمحرمات تأتي درجة درجة، مثل تحريم الخمر، وعقوبة الزنى، وفرض الصلاة و... قال تعالى:﴿**وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه**

تنـزيلا﴾ "الإسراء: 106" وقال سبحانه:﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة، كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا﴾ "الفرقان: 32".

وأكد رسول الله ﷺ هذا المبدأ التربوي في التعليم عندما بعث معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه إلى اليمن، وقال له: "أخبرهم أن الله فرض عليهم في اليوم والليلة خمس صلوات، فإن فعلوها، فأخبرهم بالصوم... فإن فعلوه فأخبرهم بالزكاة... فإن فعلوها... فأخبرهم بالحج"، وأشارت السيدة "عائشة" رضي الله تعالى عنها إلى مبدأ التدرج في الأحكام، فقالت:"إنما نزل أول ما نزل منه (القرآن) سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبدا ..."

وظل الرسول ﷺ محافظا على هذه الفكرة حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى.

وعملا بسنة النبي ﷺ طبق علماء التربية المسلمون هذا المبدأ "التدرج في التعليم ومراعاة عقل الطفل أو المتعلم وقدرته على الفهم" كما فعل الغزالي في فلسفته التربوية.

وهذا المبدأ التربوي الذي جاء به الإسلام، سار عليه علماء التربية الحديثة في العالم.

ب- وللتنويع والتغيير في العلوم والمعلومات، والانتقال من فرع إلى فرع، له أثره الكبير في التربية، لأن النفوس تسأم التكرار وتحب التغيير والتنويع، ويتسرب إليها الملل في الأسلوب الواحد.

روى عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: "كان رسول الله ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا"[27].

ثالثا- اغتنام الفرص والمناسبات:

لاغتنام الفرص اثر إيجابي في تحقيق الأهداف التربوية، وربط التعليم النظري بالواقع والحياة، وهو نوع من وسائل التنويع الذي يبعد السآمة والملل، أو

يخفف منهما، إذ أن "من العوامل المساعدة على التعلم اختيار الوقت وتحين الساعات الملائمة"[28]، لمعالجة المشكلات التي يعاني منها الناس "وإن المناسبات والأحداث تكون عند السامع انتباها خاصا، واستعدادا ذاتيا، وتلهفا وحب استطلاع للنتيجة أو لنصيحة أو لمعرفة الخطأ والاستدلال للصواب، والحادثة أو المناسبة توفر الجو الكامل للموضوع، وتصبح التربة خصبة للزرع والحرث، سواء أكانت الحادثة مسرة أو مؤلمة، وسواء أكانت المشكلة تريد الحل أم تصحيح المفهوم والطريقة، أم كانت جريمة في مجتمع أم مصيبة في عائلة أو فرد، فتختلج النفس بالعذاب أو الندم أو الاضطراب، وتتفتح لقبول التوجيه والوعظ والتعليم والتربية"[29].

وهذا المبدأ قوي ظاهر في القرآن والسنة إذ به تكون الأحكام أقرب إلى الفهم وأدعى إلى التطبيق والالتزام والتنفيذ، ونستدل على ذلك مما في السنة قول النبي ﷺ أنه كره السؤال بدون مناسبة، فقال: "إن الله كره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال"[30].

وكانت لهذه التربية النبوية أكبر الأثر في حياة الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء التربية المسلمين وغيرهم في التربية الحديثة اليوم.

رابعا – الترويح واللعب:

تتجمع الشحنات المختلفة في النفس والجسم، وعندها ينبغي تفريغها في عمل إيجابي لتعمل وتبني لا لتهدم، فإن اختزانها لمدة طويلة بلا غاية عملية مضرة بكيان الإنسان، وقد تسبب له أمراضا نفسية، فلتصرف بشكل طبيعي موجه بالسبل المأذون بها شرعا، وهذا ما أشارت إليه السنة النبوية ومن ذلك الترويح عن النفس باللعب... ولا ريب فإن الترويح عن النفس إنما هو راحة للجسم، والراحة حاجة من حاجاته يحتاج إليها، وفطرة فطر الله الناس عليها. والتربية النبوية جاءت مؤيدة لهذا الحق داعية إلى هذه الفطرة طالبة من الإنسان أن يرتاح ولو كان في هذا ترك لعبادة يتقبل بها الإنسان:

ففي الحديث المتفق عليه، عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: دخل النبي ﷺ المسجد، فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال: "ما هذا الحبل؟ قالوا: هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت به، فقال النبي ﷺ: حلوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليرقد".

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ قال:"إذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم فإذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه" "متفق عليه"

ويرى الغزالي:"أنه ينبغي أن يؤذن له (الصبي) بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعبا جميلا، ليستريح إليه من تعب المكتب، بحيث لا يتعب في اللعب، فإن منع الصبي من اللعب وإرهاقه بالتعليم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه، وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة من الخلاص منه رأسا"[31]. فالغاية من اللعب عند الغزالي هي الترويح عن الطفل بعد عناء الدرس. وقد اشترط له شروطا ينبغي مراعاتها عندئذ.

خامسا – الزجر بالتعريض، والتنبيه بلطف:

عند مخاطبة الفرد، فإن الخطاب موجه إلى النفس الإنسانية، التي تختلف طبائعها بين فرد وآخر، ولذلك عندما يقترف طفل ذنبا أو يرتكب خطيئة، عندئذ يتم توجيه العقاب بأسلوب وقائي سمته اللطف والحذر بأن واحدا معا عن طريق التعريض ما أمكن لا التصريح الفاضح أمام الآخرين لأن التصريح في هذه الحالة يهتك حجاب الهيبة، ولربما يؤدي إلى رد الفعل الضار، ويدخل في هذا المبدأ "خاطبوا الناس على قدر عقولهم"، وهو من المبادئ السامية التي ذكرت في التربية النبوية.

فهذه البدائل تساعد إلى حد كبير في منع وقوع العقاب، وتقليل الحاجة إلى الحوافز المالية أو الجوائز والمكافآت المادية، فإذا لم تصلح المخطئ أو المخالف أو

الخارج عن السلوك القويم هذه المبادئ البديلة عن العقاب، عندها لابد من العقا
فإن من لم تصلحه الكرامة أصلحه الهوان، وعندها ينبغي التدرج فيه.

والعقاب يبدأ من النظرة العامة ثم الإشارة ثم التوجيه والتنبيه ثم الإعراض
عنه، ثم التوبيخ والطرد والضرب والفصل من الصف والمدرسة.

وبالرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية نجد ملامح التوجيه للعم
التربوية من خلال خصائص السنة النبوية التي تتجلى في التربية النبوية في المطل
الآتي:

المطلب الثاني – خصائص التربية النبوية وأهدافها:

يعني مفهوم التربية في الإسلام، إعداد الإنسان الصالح في الحياة، وه
التربية مستمرة من الولادة حتى الوفاة على الامتداد الأفقي، وهي تربية كام
متوازنة، نفسية بالإيمان، وعقلية بالمعرفة، وجسمانية بالرياضة، وهي جامعة ،
حيث أنها تغرس القيم الخلقية والاجتماعية التي تحمي الإنسان من أخط
الاضطراب والتمزق، وتربي في الإنسان الإرادة الحقة حبا للناس وإيثارا وبعدا ع
الأنانية وتجنبا للرذائل.

وهي تربية إيجابية جمعت بين النظر والتطبيق مع توفير أساليب تربو
حديثة تجذب الانتباه، وتحث على المتابعة، كما أنها تجمع بين الترفيه وتحق
الأهداف التربوية سواء كان ذلك في ميدان التربية النظامية أو غير النظامية.

"هذا والجمع بين التربية العلمية والتطبيق العلمي سمة من سمات تر
الرسول ﷺ: فإن تربيته بمناهجها وأساليبها وطرائقها استطاعت أن تقرن القو
بالعمل والإيمان بالسلوك... حتى استطاع... أن ينشئ الأمة إنشاء ساميا دفع ب
إلى الأعالي، وحلق بها في الآفاق الواسعة، فملأ سرائرها يقينا، ونفوسها حز
وأبصارها نظرا، وعقولها حكمة... إنها التربية المتسمة بالشمول لمختلف جوا

الحياة الإنسانية، وهذا الشمول ضروري لتحقيق التكامل بين الروح والجسد"[32] الذي يظهر في المواطن الآتية:

أولا- تربية الإنسان كاملا:

توجهت التربية النبوية نحو الإنسان كلية الطفل في مهده، والمرأة في بيتها وخدرها، والرجل في عمله وبيته، وقد شملت من الرجل والمرأة والطفل روحه وجسده وعقله وفكره وخلقه، ولذا حض النبي ﷺ على العبادة الخالصة لله تعالى، لتقوية الصلة بين العبد وربه، ابتداء من الإيمان، وانتهاء بالسلوك المستقيم، بالاعتماد على العلم والمعرفة والبراهين العقلية حتى يعم هذا السلوك حياة الناس جميعا.

وفي السنة النبوية أحاديث كثيرة تدل على هذه التربية:

- عن أبي حفص عمر بن أبي سلمة عن عبد الله بن عبيد الأسد ربيب رسول الله ﷺ قال:"كنت غلاما في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: يا غلام سم الله تعالى، وكل بيمينك، وكل مما يليك، فمازالت تلك طعمتي بعد" رواه الشيخان".

خص النبي ﷺ المرأة بالتعليم، وجعل لها يوما ليعلمها فيه... فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: "جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوما نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله، قال: اجتمعن يوم كذا وكذا، فاجتمعن، فأتاهن النبي ﷺ فعلمهن مما علمه الله ثم قال: ما منكن من امرأة تقدم ثلاثة من الولد إلا كانوا لها حجابا من النار، فقالت امرأة: واثنين، فقال رسول الله ﷺ: واثنين" رواه الشيخان".

- عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:"أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم".

وعنه أيضا قال:"سئل رسول الله ﷺ عن اكثر ما يدخل الناس الجنة، قال: تقوى الله وحسن الخلق، وسئل عن أكثر ما يدخل النار، فقال: الفم والفرج" رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح".

كل ذلك لأن الإنسان هو مدار التربية ومناط جهدها

ثانيا- تربية مثالية عملية:

التربية النبوية ليست مثالية نظرية، وإنما هي واقعية عملية تشمل جميع أفراد الجنس البشري ليكون كل واحد من الأفراد يوافق عمله قوله، فلا رياء ولا نفاق ولا كذب ولا خيانة، بل إخلاص وصدق، وصراحة ووفاء، وأمانة وشرف.

وقد طبق النبي ﷺ كل هذه الفضائل والقيم الأخلاقية السامية على نفسه فكان القدوة المثلى للناس جميعا، فاقتدى به الصحابة والتابعون وكانوا فيما بعد الجيل المثالي الرائد في الأرض.

واتخذ لذلك سبلا واقعية هادفة: وبدأ في التربية منذ أن كان الولد جنينا بل قبل ذلك حيث أوصى النبي ﷺ كلا من الرجال والنساء باختيار الزوج الصالح اللذين يتصفان بصلاح الدين وحسن الخلق، "تخير والنطفكم" باختيار المرأة السليمة من الأمراض بكل ما في الكلمة من معنى.

وطلب من أولياء الأمور تربية الولد على التوحيد، والسنة النبوية تذخر بالأحاديث التي تأمر وترغب بذلك.

ثم التربية على العبادة التي عالج بها قضايا الروح والنفس، والجسد وأمورا اجتماعية أخرى كالمحبة والاخوة والطاعة والنظام والبناء الأسري القويم، كما في قوله عليه الصلاة والسلام:"يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء" "البخاري".

ثم تربية الجسد بدعوة النبي ﷺ المؤمنين إلى قوة الأبدان ومتانة الأجسام وكل معاني الرجولة الجسدية، لأن الجسم القوي هو الذي يستطيع تحمل أعباء الدعوة والسنة العملية مع الصحابة أكبر دليل على ذلك، قال رسول الله ﷺ: "المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف وفي كل خير" "رواه مسلم".

والأحاديث النبوية التي تعتني بالنواحي الجسدية في الإسلام كثيرة، نذكر منها:

"علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل"

"ليس منا من تعلم الرمي ثم نسيه"

"ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميا" "البخاري"

ثالثا- تربية العقل والفكر:

واعتنى النبي ﷺ بتربية العقل والفكر، فحض على تحرير العقل من الخرافات والأوهام ونهى الإنسان عن اعتقاد لا يؤيده برهان عقلي، ونعى على أولئك الذين يتمسكون بالخرافات والشعوذات الباطلة والأساطير الضالة المنحرفة و... ولفت نظر الناس إلى المعجزات التي لها ارتباط وثيق بالقدرة الإلهية وفي مقدمتها القرآن الكريم الذي يأمر بتحكيم العقل.

ولا ريب في أن غذاء العقل هو العلم النافع، فدعا إليه النبي ﷺ وحث على طلبه ورغب في تعلمه، وأشاد بفضل العلماء، فقال:"فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم".

وعن انس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:"من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع" "رواه الترمذي وقال: حديث حسن".

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال:"ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة" "رواه مسلم".

هذا وإن كان الحرص على العلم والترغيب فيه، "فإن التربية النبوية حرصت- أيضا- على المشاعر النفسية التي تثور وتنفعل لدى الطفل وهو يلقى العطف ويحويه الحنان ويحس بروح المحبة تحوطه من كل جانب... عندها يأنس بمن يعلمه ويتلقى عنه العلم"[33] فكم كان عليه الصلاة والسلام يشعر الأولاد بالعطف والحنان والطمأنينة والمودة والحب، فتتعلق نفوسهم بهذا المربي العظيم، وتقبيله عليه الصلاة والسلام للحسن والحسين رضي الله عنهما أكبر شاهد على ذلك.

رابعا- تربية الأخلاق:

جاء النبي ﷺ ليتمم مكارم الأخلاق، وكان عليه الصلاة والسلام صاحب الخلق العظيم ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾ "القلم: 4"، ﴿**ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك**﴾ "آل عمران: 159".

وفي السنة النبوية كنـــز ثمين من الأحاديث التي تتعلق بالخلق وتتحدث عنه، فمن ذلك ما يتحدث عن: الإخلاص، الرأفة والرحمة، الإيثار، الصدق، الصبر، الأمانة، الوفاء، الإحسان...

وليس المقصد من هذه التربية، الفرد فقط، وإنما المجتمع المتكون من الأفراد إذا صلحوا صلح المجتمع، وإذا فسدوا فسد المجتمع، ولهذا كان اهتمامه بالتربية الاجتماعية حتى في اهتمامه بالزواج القائم على الدين والخلق الكريم.

فالتربية النبوية شاملة:

للفرد: من حيث هو مجموعة غرائز وميول ومواهب وجسد وروح.

وللمجتمع: من حيث هو مجموعة أفراد.

وللإنسانية: من حيث هي مجموعة مجتمعات.

مما سبق يمكن استخلاص صفات التربية النبوية، ومن أهمها:

1- الارتباط الوثيق بالعقيدة الصحيحة، فهي تربية إلهية ربانية.

2- التوجه نحو القيم الإسلامية، والتأكيد على تطبيقها، وغرس مثل الإسلام ومبادئه في النفوس بكل الطرق التربوية الناجحة.

3- الترابط الوثيق بين منهج الدين وأهدافه في الحياة وميادين التربية النبوية.

4- التطلع إلى إعداد الإنسان الصالح في الحياة، وتنشئة الجيل على قيم الإسلام وتعاليمه التي تستوحيها التربية من القرآن الكريم والسنة المطهرة.

5- الشمولية حيث تتجه إلى الإنسان سواء كان طفلا أم رجلا أو امرأة من جميع النواحي الروحية، والفكرية، والجسدية، والخلقية.

6- مراعاة الفروق الفردية "نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننـــزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم"، وكذا في اختيار الصناعة التي يرومها الصبي.

7- الترغيب بالرفق في المعاملة، وحسن اختيار الصديق (الصالح).

8- العمل على تطبيق شريعة الله تعالى في الأرض، وقيادة المسلمين إلى مراقي التوحيد الخالص لله تعالى، والفضيلة، والخير.

9- الإيجابية بحيث تقوم على الأخلاق وتعمل لسيادتها، وتحارب الأنانية والمحسوبية والطمع والأثرة، وتقف في وجه الفساد والربا والرشوة وفي الوقت نفسه تربي الأفراد على العفة والنـــزاهة، والمودة والرحمة.

10- الوصول إلى غاية وجود الإنسان في الأرض لعبادة الله تعالى وتحقيق سيادة كلمة الله تعالى وبناء مجتمع الإسلام على السلام والعدل، والألفة والإخاء ومواجهة أعداء الإسلام المتسترين تحت الشعارات البراقة التي تسبب في مآسي وآلام كثير من الأمم في الأرض. ونذكر فيما يأتي أهداف التربية النبوية وأهمها:

الهدف الأول - التربية الربانية:

يعني هذا الهدف الاعتقاد بوحدانية الله تعالى، وأنه سبحانه هو الإله الواحد، والرب الذي لا رب سواه، والمعبود الذي لا يعبد بحق غيره، وهذا يشمل حياة

الإنسان كلها من البداية إلى النهاية ﴿**وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم**﴾ "البقرة: 163"، ﴿**الله لا إله إلا هو الحي القيوم**﴾ "البقرة: 255".

ومن السنة النبوية ما روي عن النبي ﷺ من خطبة الوداع:"يا أيها الناس إن ربكم واحد، وان أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي فضل على أعجمي إلا بالتقوى ألا هل بلغت".

ويقتضي هذا الاعتقاد أن يكون قد وقر في القلب وصدقه العمل، (الصدق والإخلاص) في السر العلن، فإن الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، لأن الله عز وجل يعلم ما تكنه الأنفس ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وهو بكل شيء عليم.

ويرتبط الإيمان بالله تعالى ببقية أركان الإيمان الأخرى لما لها من آثار إيجابية في حياة الإنسان، وله ارتباط وثيق بفكرة الثواب والعقاب، والجنة والنار، ووضح القرآن الكريم إن من أهداف النبي ﷺ إخراج المسلمين من الظلمات إلى النور، ومن دياجير الشرك إلى ضوء الوحدانية:﴿**الر، كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد**﴾ "إبراهيم: 1".

﴿**قد جاءكم من الله نور، كتاب مبين، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم**﴾ "المائدة: 16".

فكان عليه الصلاة والسلام يشوق المسلمين إلى النعيم المقيم في جنات الخلد يوم القيامة، ويرهبهم من عذاب النار الأليم، ولهذا أقدموا على الإيمان الصادق والإخلاص لله تعالى في القول والسلوك والعمل، نذكر من ذلك ما يلي:

- عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال، قال رسول الله ﷺ قال الله عز وجل:﴿**أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب**

بشر اقرؤوا إن شئتم﴾ "فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين" "رواه الشيخان وهو متفق عليه".

– وعنه رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال:"إن أدنى مقعد أحدكم من الجنة أن يقول له تمنى فيتمنى ويتمنى، فيقول له: هل تمنيت؟ فيقول نعم فيقول له: فإن لك ما تمنيت ومثله معه" "رواه مسلم".

ويتعلق بفكرة الثواب والعقاب مسألة إحياء المراقبة والمحاسبة الذاتية فكرا وجسدا وروحا، وذلك بتربية الوازع الديني المرتبط بالإيمان بالله تعالى المتصف بكل صفات الكمال، المنـــزه عن صفات النقص، وأنه سبحانه الذي يحاسب على كل صغيرة وكبيرة وعندئذ يحيى الضمير الذاتي، والوازع الداخلي فيغدو حارسا على تصرفات الإنسان والرقيب على أعماله في السر والعلن، فهو السلطة العليا التي تحفز الفرد على الخيرات وتوصله إلى مرتبة الإحسان "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " "رواه مسلم" فما أحوجنا اليوم إلى تحقيق هذا الهدف في علومنا التربوية والاجتماعية والإنسانية.

الهدف الثاني –الإنسانية:

ويتضمن هذا الهدف أمورا كثيرة غايتها إعداد الإنسان الصالح ومنها:

1– صفاء الفطرة ونقاؤها وتبرئتها من الذنوب والخطايا، "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" فالسنة ترد الفرد إلى الفطرة السليمة.

2– تحرير العقول، من التصورات الباطلة، وبناء تصورات صحيحة بدلا عنها تستقيم مع الفطرة السليمة والعقل الصحيح، لبناء حياة صحيحة وفق القواعد المنطقية والأسس العقلية التي ترفض الموروثات الجاهلية والعادات البالية، والتعصب الأعمى لتراث الأباء والأجداد. فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال:"لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل، قالوا: وما الفأل؟ قال: كلمة

طيبة" "البخاري"، وخير مثال نذكره هنا، عندما ذكر عمر بن الخطاب بشأن تقبيل الحجر "أما والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع (وهذا مدلول عقلي) ولولا إني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك" (وتقبيله للحجر من قبيل العبادة والاقتداء برسول الله ﷺ) (إنه حجر أنزل من الجنة).

3- تحرير النفوس والوجدان من كل ما علق بها من المعتقدات الضالة التي لا تضر ولا تنفع، وقد دعا النبي ﷺ إلى عبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي بيده كل شيء فعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ يوما فقال: "يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وان اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف" "الترمذي، حيث حسن صحيح".

وبين عليه الصلاة والسلام إن الأنبياء والمرسلين بشر لا يعبدون بأي وجه كان "إنما أنا بشر" وفي حديث رواه عمر بن الخطاب:"... فإنما أنا عبده فقولوا: عبد الله ورسوله" "البخاري". فهو عليه الصلاة والسلام يحرر النفوس من عبودية البشر وسيطرتهم ومن الانحراف والمبالغة والتطرف والوسواس والتشدد "إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق"، ومن طاعة الهوى والنفس الأمارة بالسوء.

4- تحرير الأخلاق من العادات البالية والرواسب الجاهلية الموروثة والمفاسد الاجتماعية، فرغب بالأخلاق الحميدة الكريمة وربطها بالإيمان "والحياء شعبة من الإيمان"، ونهى عن الأخلاق المعوجة، وأرسى الكثير من المكارم الخلقية "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".

والأخلاق في السنة النبوية هي:

- مبادئ وقواعد منظمة للسلوك الإنساني، لتنظيم حياة الإنسان.

- نظام من العمل من اجل الحياة الخيرة، وطريقة قويمة في التعامل الإنساني.
- نهوض بالقيم والمبادئ إلى مرتبة الكمال الإنساني لتحقيق نهوض حضاري واجتماعي.
- أدب واحترام وتوقير وإيثار ومحبة وألفة... ومثل تقرب إلى الله تعالى.
- صلاح ونجاح غير مقيدة بحدود الزمان والمكان من أجل الإنسان لأن مجالها الحياة.
- ثبات وعدم تحول أو تبدل لأنها إلهية مستمرة، فيها صلاح العباد[34].
- سبيل إلى دخول الجنة، وقد سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الجنة فقال: "تقوى الله وحسن الخلق" "الترمذي".

5- تحرير الجسد، من الضعف والوهن والخمول والكسل: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف" ولذا حث النبي ﷺ على:

- تصحيح الأجسام وتقويتها بالسباحة والرماية وركوب الخيل...
- تدريب الجسم على اللياقة والنشاط والفعالية وتحمل المشاق، وهدوء الأعصاب...

وما ذلك إلا لبناء الإنسان الكامل المتحرر عقلا ونفسا ووجدانا ليؤدي مهمة الاستخلاف في الأرض، وحمل عبء الدعوة الإسلامية لهداية الناس إلى دين الإسلام.

الهدف الثالث – تربية روح المسؤولية:

وتعني المسؤولية، المشاركة في شؤون الأمة من اجل المصلحة العامة، وأساسها الوازع الديني ومراقبة الله تعالى، فهي مسؤولية أمام الله تعالى أولا ثم ولي الأمر ثانيا، مع الاهتمام برأي الآخرين ووجهة نظرهم لسيادة روح الشورى ولتسود العلاقات الاجتماعية جو الاحترام المتبادل والتعاون على البر والتقوى والإخاء.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:"كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته،

والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته" "البخاري".

ونجد في السنة النبوية دروسا عملية في غرس الشعور بالمسؤولية والضبط الأخلاقي والاجتماعي، فاستجاب المسلمون إلى ذلك في أداء العبادات والمعاملات والأخلاق.

وهذه المسؤولية، حركت المشاعر الداخلية عند المسلمين تجاه الله تعالى ثم تجاه النفس، كما أيقظت في الفرد حس الضمير والمحاسبة الذاتية.

الهدف الرابع – تربية اجتماعية:

اهتمت التربية النبوية ببناء الإنسان الصالح بحيث تبدأ بالفرد وتنتهي بالمجتمع الإنساني عامة، فإذا كان الفرد مسؤولا عن عمله، فهو مسؤول عمن حوله من الناس انطلاقا من الأسرة، قال تعالى:﴿**ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة**﴾ "الحشر:9" ورباط هذه المسؤولية الجماعية هو الحب الأخوي الصادق الذي يجعل البناء الاجتماعي قويا مرصوصا يشد بعضه إلى بعض.

"وبهذا الحب الذي يبثه الإسلام ويغذيه قام المجتمع الإسلامي الأول الفريد في كل التاريخ، مجتمع لا من الأصفار المتذاوبي الكيان ... مجتمع كل فرد فيه أمة ! وهو على ضخامة شخصياته وإيجابياتها العجيبة الفذة، متحاب مترابط، لا تكاد تحس أين يبتدئ كيان كل واحد منهم وأين ينتهي الآخر ... لان الحب قد أزال الحدود"[35].

واتصفت هذه التربية الاجتماعية بالشمول بشكل واسع، لتضم أفراد الأسرة وكل من يربط الفرد برباط النسب والقرابة (صلة الرحم) ومن ثم لتمتد إلى الجار حيث أولته من الرعاية ما يوفر مجتمعا متحابا متعاونا، فيغدو الجيران كأسرة واحدة متماسكة "ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه" وحذر

عليه الصلاة والسلام من الإيذاء بالجار:"والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن" قيل من يا رسول الله؟ قال:"الذي لا يأمن جاره بوائقه".

واتسعت ميادين هذه التربية لتشمل كل من يجمع الواحد مع غيره تحت شعار أخوة الإسلام لتجعل أفراد هذا المجتمع أخوة متحابين "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه"، وخير مثال على ذلك أخوة المهاجرين والأنصار يوم الهجرة.

وبهذه الأخوة يسود العدل، وتنتشر المحبة، ويفشو الوداد، وتسيطر الرحمة، وتنتعش القلوب، وتطمئن النفوس، وتؤدى الحقوق، وتتمتن الأواصر والوشائج، ويعم الأمن والسلام "كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه" ولقوله عليه الصلاة والسلام:"مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر".

الهدف الخامس – عمارة الأرض:

مهمة الإنسان في الحياة عمارة الأرض وإقامة الحضارة فيها بالاعتماد على المقومات الأساسية التي وجه إليها الإسلام في القرآن الكريم والسنة النبوية، حيث نظم شؤون الأمة بما يضمن مصالحها وحاجاتها لتكون خير أمة أخرجت للناس، ولا يتحقق ذلك إلا بالمقومات الآتية:

أولا[36] – تعريف الإنسان بخالقه وبناء العلاقة بينهما على أساس من ربانية الخالق وعبودية المخلوق، ولذلك انصب الهدف نحو الإيمان بالله تعالى والتوجه إليه في النية والقول والعبادة والمعاملة والسلوك "إنما الأعمال بالنيات" "البخاري".

ثانيا– توجيه السلوك الإنساني نحو الاتجاهات والمبادئ والأسس الإسلامية لأنه لابد من الربط بين الهدف والسلوك، وبين النظرية والتطبيق، ذكر ابن مسعود فقال: "كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل

بهن" وقد أثر عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم انهم تعلموا القرآن الكريم والعمل به.

ثالثا- نمو الإنسان من جميع النواحي العقلية والجسمية والروحية والاجتماعية: أي تطوير سلوكه بما عنده (الفطرة والمواهب) وبما يكتسبه من المحيط من خبرات.

أ- **النمو العقلي**[37]: ويتجلى ذلك بحض الإسلام على التدبر في الكون ولفت النظر إلى ما فيه، والتفكر في خلق السماوات والأرض والكائنات الحية، والتفهم لما يجري في الكون من السنن، وما يقتضيه ذلك النمو العقلي من العلوم والمعارف من اجل استخدام ما سخره الله تعالى للإنسان (عنصر التسخير) والأمانة العلمية كل ذلك من غير أن يصاب الإنسان بالتكبر والغرور عن قول الحق، والتعصب والتحجر في الأهواء والباطل.

ب- النمو الجسمي: سبق أن ذكرنا ضرورة تحرير الجسد من الضعف والوهن ليكون مؤمنا قويا قادرا على تحمل عبء الرسالة، ومشقة الدعوة إلى الله تعالى، فرغب في الرياضة والسباحة والرمي وركوب الخيل والمصارعة والمباراة على رمي النبال وسباق الخيل (تنمية الجسم وتربية الجوارح) كل ذلك من أجل خير الأمة وعزتها وكرامتها وريادتها.

ج- النمو الاجتماعي: ويبدأ بتربية المشاعر الاجتماعية كالشعور بالانتماء للأمة (المواطنة الصالحة) والمعايشة القويمة مع المجتمع، والاتجاه نحو السلوك الاجتماعي في التعاون على البر والتقوى، وعلى التكافل، والمسؤولية التضامنية، وهذا ما يعني بـــ"تنمية المشاعر الاجتماعية" و"ربط القلوب والعواطف برباط الاخوة".

ويتطلب هذا النوع من النمو "تدريب الفرد على مواجهة متطلبات الحياة بالعمل وكسب الرزق، والحث عليه "لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب خير له من أن

يسأل الناس أعطوه أو منعوه" وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده" واعتبار العمل عبادة، فليتقن أحدكم عمله في كل مجالات العمل (زراعة، صناعة، تجارة، حرفة).

د- **النمو الروحي:** حيث لم تقتصر السنة في ميادين النمو على ما ذكرنا (المادية) وإنما حرصت على التنمية الروحية عند الفرد والمجتمع على حد سواء حتى تحدث التوازن بين هاتين الناحيتين (المادية والروحية)، بحيث لا يطغى جانب على آخر.

ويتحقق النمو الروحي بتوجيه الإنسان إلى الفطرة السليمة وعبادة الله تعالى وإخلاص العبادة له وحده سبحانه، ومراقبته وتربية روح المسؤولية والتقوى.

ورأينا- فيما سبق- أن السنة النبوية ربت المسلم على الربط بين ذكر الله تعالى وعبادته والعمل الصالح في الحياة، بغية تزكية النفس **﴿قد أفح من زكاها﴾** وهذا ما يبدو في نزعة التدين وصفاء الروح والتسامي في الحق، وحب المعرفة، وإدراك جوانب الخير والعمل بها، وإدراك جوانب الشر ودفعها واجتنابها، كل ذلك حتى يتغلب الخير على الشر، والمصالح على المفاسد.

ويرتبط بهذا النوع من التنمية، الأخلاق الكريمة، والصفات السامية النبيلة، في الإيمان والتقوى، والعمل وأداء الأمانة، والعلم وحب المعرفة، وتحمل المسؤولية والوفاء بالوعد والعهد، وغير ذلك مما يدخل في إطار التشريع والنظام كي يكون إسلاميا. ومن هذا نأتي إلى المطلب الثالث وهو:

المطلب الثالث: ميادين التربية النبوية وطرائقها

أولا- ميادين التربية النبوية

تتلخص مبادئها أساسيا في قوله تعالى: **﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾** "الجمعة: 2".

الميدان الأول: (يتلو عليهم آياته):

الآيات: جمع آية، وهي بمعنى:

- **المعجزة:** بدليل ما روي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه "أن أهل مكة سألوا رسول الله أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر" "البخاري".
- **العلامة:** كما في الحديث:"آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار" "البخاري".
- **البرهان أو الدليل على قدرة الله تعالى:** كما في الحديث:"إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته" "ابن ماجة".
- **العبرة:** كما في قوله تعالى:﴿**قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله، وأخرى كافرة**﴾ "آل عمران: 13"
- **الآيات القرآنية:** كما في الحديث: "قد أنزل الله علي آيات لم ير مثلهن: قل أعوذ برب الناس، ملك الناس، اله الناس، إلى آخر السورة" "الترمذي".

مما سبق يتبين أن منهاج هذا الميدان يتخذ مادته من مصادر ثلاثة[38]:

المصدر الأول: ظواهر الغيب كالحياة والموت.

المصدر الثاني: ظواهر الاجتماع البشري، وما يمرون به من خبرات ضارة أو نافعة.

المصدر الثالث: هو ما يتوصلون إليه من مكتشفات للقوانين التي تنظم الكون القائم وما ينتج عن ذلك الاكتشاف من علوم وتطبيقات.

وذلك لـــ:

1- توجيه العقل البشري نحو الميادين والآفاق لتفسير الظواهر الكونية.

2- تكوين إيديولوجية عقائدية هدفها عقيدة التوحيد والولاء للإسلام والمسلمين.

الميدان الثاني: (ويزكيهم):

وهذا ميدان تعديل السلوك، بتطهير النفوس من الشرك بالله وعبادة الأوثان، وتنميتها بطاعة الله تعالى: "فالتزكية انتزاع ما هو غير مرغوب فيه، وتعزيز ما هو مرغوب به، فهي إذن تعديل للسلوك بلغة التربية الحديثة"[39].

وتقترن التزكية بالتعليم- في هذه الآية- لتسهل عملية التعليم بالتعزيز، وتوجه سلوك المتعلم نحو الأفضل لتحقيق الأفضل وتبدو مهمة النبي ﷺ مركبة، حيث يهدف إلى:

1- تعليم الناس العلم الصحيح، ووضع الأمور في مواضعها التي تعد لها.

2- تربية الناس تربية صحيحة قائمة على:

أ- تطهير ماهية الإنسان من الرذائل والأخطاء والآثام، لتوجه نحو الخير والهدى والصواب.

ب- تنمية الإنسان تنمية كاملة متكاملة من جميع النواحي النفسية والجسمية والعقلية.

فكلمة التزكية مرادفة لكلمة التربية، وبذلك يجمع النبي ﷺ بين التربية والتعليم وهذا ما أدركه الصحابة رضي الله عنهم، كما في قول عمر بن عبد العزيز: "إن الله لم يرسل محمدا جابيا وإنما أرسله هاديا"، وقد وضع لهم النبي ﷺ مثلا عليا اقتدوا بها.

وتتلخص مواضع التزكية في:

- عزل الفرد عن البيئات المخالفة لشريعة الإسلام.
- اطلاع الفرد على ما عند الآخر من معتقدات وتصورات باطلة ليتجنبها.
- تعديل السلوك غير المرغوب به، وتعزيز ما هو مرغوب به (إيمان، إسلام، إحسان).

الميدان الثالث: (ويعلمهم الكتاب): أي "القرآن":

ولهذا الميدان علاقة وطيدة بالتزكية، من أجل تغذية العقول وشحنها بالأحكام والعلوم والمعارف التي جاءت في القرآن الكريم.

ومن هذه الأحكام يستنبط الإنسان ما يحتاج إليه في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق، لأن القرآن الكريم معجز في كل ما جاء به من الآيات الداعية إلى التفكير العلمي السليم وأساليب الفهم الصحيحة، حيث تصلح لكل زمان ومكان وحال.

الميدان الرابع: (والحكمة)

وللحكمة معادن كثيرة من أهمها: (العبرة، الإتقان، الحلول الملائمة، القدرة على التمييز بين النافع والضار، الفهم والمعرفة، صواب الرأي وحسن النظر في الأمور،حسن التقدير والإدارة والتصرف) ولكل معنى من هذه المعاني أدلته الشرعية، حيث درس العلماء الحكمة وبينوا أقسامها ومدلولها، وأنها مفسرة بالعلوم النظرية وتطبيقاتها العملية، لذا يمكن القول بأنها معرفة افضل الأشياء بأفضل العلوم[40] وتأدية دور كل فرد في الأمة بإتقان طبقا لمقاييس القرآن الكريم والسنة النبوية.

ثانيا- طرائق التربية النبوية:

لكي يصل المربي إلى تحقيق أهدافه التعليمية والتربوية، عليه أن يتعرف على حالة سامعيه، ومستوى إدراكهم العقلي، وعندئذ يتمكن من اختيار الطرائق الملائمة لطبيعة المتلقين، ولذلك تختلف الطرائق والوسائل التي تتحدد في الغاية الواحدة.

وقد عرف النبي ﷺ كل ذلك، وأدرك هذا الأمر "أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم"، وليس بالإمكان في هذا البحث حصر جميع الطرائق التي اتبعها

النبي ﷺ، إلا إن ذكر البعض يغني عن الكل كمعالم في طريق العلوم التربوية والاجتماعية، إذ بها نكشف عن عظمة رسولنا الكريم ﷺ.

واعتمدت التربية النبوية في طرائقها على ثلاثة أسس هي:

الأول – المحاكمة العقلية: في تعريف الإنسان بذاته، واختيار الأسلوب الصالح لجميع مدارك الناس، والاعتماد على المناقشة والحوار.

الثاني – القصص والعبر التاريخية: لما في القصة من تأثير كبير في إيصال المعارف والعبر منها، والاستفادة من ذلك في المستقبل المصيري لما بعد الموت عن الجنة والنار.

الثالث – الإثارة الوجدانية: وذلك بإثارة العاطفة الدينية، واغتنام الفرص والمناسبات، والترغيب والترهيب، والتصوير والتخيل.

ومن هذه الأسس تتجلى أهم الطرائق التربوية في السنة النبوية:

الطريقة التقريرية: وتعتمد على طرح الحقائق والمعلومات، وتأكيدها بصورة مباشرة على السامع، وقد اعتمدها النبي ﷺ في المواقف العامة لجموع المسلمين كخطبة الجمعة وخطبة العيد والحج ... وقد كانت هي الطريقة السائدة لما لها من تأثير في تثبيت الأحكام.

الطريقة الاستنتاجية: وتعني هذه الطريقة بذكر حقيقة عامة ينطوي تحتها كثير من الحقائق الجزئية، حيث تتهيأ العقول لاستنباط هذه المعارف الجزئية، وقد أتت هذه الطريقة إلى الاجتهاد والفقه "قضاء معاذ بن جبل في اليمن".

وهذه الطريقة إحدى الطرائق التربوية التي طبقها النبي ﷺ مع أصحابه حيث ترك لهم الفرصة سانحة للعمل بهذه الطريقة "ما استنتجه الصحابة من خطبة الوداع".

الطريقة الاستقرائية: وفيها ينتقل المربي من الجزئيات إلى الكليات ومن الخاص إلى العام، ومن المعلوم إلى المجهول، وبذلك تعطي قواعد أصولية عامة تمكن المتلقي من قلب الأمور مرة أخرى، (قضية النكاح والزنا وعلاقة كل منهما بالحلال والحرام) للوصول إلى قاعدة: "كل عمل مسلم صدقه".

ويعتمد المربي إلى جانب ذلك على:

- **القصة:** كوسيلة من الوسائل المحببة إلى النفس لاستخلاص العبر.

- **وسائل الإيضاح:** لما لها من اثر كبير في تقريب المعلومات "إن مثل ما بعثني الله من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا..." إلى غير ذلك من الأحاديث "مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهوا على سفينة ..." "البخاري"، فهي تعتمد على الحس المشاهد، والمعرفة المباشرة، والمقارنة الحاضرة.

- **الحوار والمناقشة:** وطرح الأسئلة، وإصلاح المفاهيم الخاطئة السائدة بين الناس، وتسييرها في طريق صحيحة "أتدرون من المفلس؟" و"انصر أخاك ظالما أو مظلوما" و"ليس المسكين بهذا الطواف الذي يطوف على الناس...".

- **الترغيب والترهيب:** كما ذكرنا فيما سبق فهو يوقظ الرغبة الجامحة في الإنسان لما يحبه ويطلبه (ضمن حدود الشرع) وهو يعتمد على الإقناع والبرهان وإثارة الانفعالات وتربية العواطف الربانية (التربية الوجدانية) كمقصد من مقاصد التربية النبوية.

- **القدوة المثلى:** كان عليه الصلاة والسلام، القدوة الحسنة والمثل الأعلى في كل شيء حيث إنه ﷺ يتبع القول العمل، والنظرية والتطبيق بنفسه، فكانت حياته ترجمة عملية بشرية حية لحقائق القرآن وتعاليمه وآدابه وتشريعاته وأساليبه التربوية.

والخاتمة:

إن علماء التربية، والعاملين في ميدان التربية والتعليم، إذا أرادوا توجيه العلوم التربوية والاجتماعية والإنسانية، ليخرجوا أجيالا قادرة على حمل الرسالة الإسلامية، ونشرها، فليقتدوا بالسنة النبوية، وعندئذ هم بحاجة إلى إعادة النظر في المناهج والأساليب والطرائق، وعدم الانبهار بفلسفات الآخرين ونظرياتهم. والتربية النبوية تكفل لكل فرد حقه في التعلم وتنمية المواهب والاستعدادات والمبادئ الخلقية، وما دعوات المصلحين في هذه الأيام إلا رجوع إلى المنهج الإسلامي الأصيل في التربية والتعليم والله ولي التوفيق.

الهوامش

1- المولوي، (محمد سعيد): المربي محمد ﷺ. الكويت: مكتبة العروبة للنشر والتوزيع. الطبعة الثانية. 1409هـ – 1988م. ص: 39.

2- النحلاوي، (عبد الرحمان): أصول التربية الإسلامية وأساليبها... دمشق، دار الفكر. الطبعة الثانية: 1403هـ –1983م. ص:26.

3- رواه الحاكم وابن عبد البر عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده. انظر: جامع بيان العلم: 24/2.

4- أخرجه البخاري والحاكم عن أبي هريرة.

5- جلسو (الحسين جرنو محمود): أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم. بيروت: مؤسسة الرسالة. دمشق: دار العلوم الإنسانية. الطبعة الأولى 1414هـ – 1994م. ص: 16 عن: الهاشمي (عبد الحميد): الرسول العربي المربي– دراسات علمية وتربوية. دمشق: دار الثقافة للمجتمع. ط: 1، 1401هـ/ 1981م ص: 12.

6- التميمي (عز الدين) وعشرين مدرب إجتماعيل: نظرات في التربية الإسلامية، عمان، دار البشير. الطبعة الأولى 1405هـ– 1985م. ص:5.

7- السباعي، (مصطفى): السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي. دمشق، دار الوراق. الطبعة الثانية: 1423هـ–2003م. ص: 11.

8- المرجع نفسه. ص: 12.

9- الزغول (عماد): نظريات التعلم، عمان، الأردن: دار الشروق. الطبعة العربية الأولى: 2003م. ص: 17.

10- المرجع نفسه. ص: 28 وما بعدها.

11- رواه البخاري.

12- رواه البخاري ومسلم.

13- لمزيد من الإطلاع انظر، محمود (إبراهيم وجيه): التعلم أسسه ونظريته وتطبيقاته الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.1224هـ – 2002م. ص: 11 وما بعدها

14- الزغول. المرجع السابق. ص: 19.

15- المرجع نفسه. ص20. وفيه تعاريف أخرى لعدد من العلماء.

16- انظر القبيل (عبد الله بن صالح): النظرية البنائية والنظرية السلوكية وموقع الانترنيت.

17- محمود (إبراهيم وجيه): العلم المرجع السابق ص183.

18- مركز البحيلي وخليل (ناجي): نظريات التعلم بتعازي، جامعة خان يونس. الطبعة الثانية 1996.ص145.

19- النحلاوي: المرجع السابق. ص286 بتصرف.

20- المولوي: المرجع السابق ص: 46.

21- جلو: المرجع السابق ص14.

22- رواه مسلم (2755) وأخرجه أحمد: 334/2 عن رياض الصالحين بيروت. مؤسسة الرسالة. الطبعة الثالثة 1420ه – 1999م ص: 168

23-انظر. الرحيلي (محمد مصطفى) طرق تدريس التربية الاسلامية، دمشق. دار المعارف للطباعة. الطبعة خامسة. 1411ه-1991 م.ص:268. 269

24- جلو: المرجع السابق ص: 105 عن إحياء علوم الدين للغزالي. 61/3 ،72. 74.

25- انظر العجلوني: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس. واحديث روي مرسلا عن سعيد بن المسيب، كما روى بعدة طرق وبألفاظ مختلفة معظمها ضعيف. ألا أنه له ما يؤيده في الصحيحين. فقد رواه البخاري موقوفا عن علي كرم الله وجهه بلفظ: (حدثوا الناس بما يعرفون. أتحبون أن يكذب الله ورسوله).

26- الكيلاني: (ماجد عرسان): تطور مفهوم التربية النبوية الإسلامية. دمشق: دار ابن كثير. المدينة المنورة. مكتبة دار التراث الطبعة الثالثة: 1407هـ/ 1987م ص: 78.

27- رواه البخاري في صحيحه. ومسلم والترمذي

28- جلو: المرجع السابق. ص: 107 عن آداب المعلمين. المحقق عطار. ص: 25.

29- الرحيلي: المرجع السابق: ص: 252. 253.

30- رواه البخاري ومسلم عن المغيرة بن شعبة.

31- جلو: المرجع السابق. ص: 108 عن الغزالي: إحياء علوم الدين طبعة بيروت. دار المعرفة 62/3.

32- جلو: المرجع نفسه. ص 13

33- المولوي: المرجع السابق. ص: 59.

34- انظر محجوب: أصول الفكر التربوي في الإسلام. عجمان: مؤسسة علوم القرآن. دمشق: دار ابن الكثير. الطبعة الأولى 1408 هـ 1987م. ص: 158 وما بعدها

35- قطب (محمد) منهج التربية الإسلامية. بيروت. القاهرة. دار الشروق. الطبعة السابعة 1403 هـ 1983م. 167/1

36- الكيلاني: المرجع السابق. ص: 34

37- انظر النحلاوي: المرجع السابق ص 118 وما بعدها.

38- الكيلاني: المرجع السابق ص: 40.

39- الكيلاني: المرجع نفسه. ص: 41.

40- انظر ابن منظور. لسان العرب. بيروت. دار صادر 1388هـ- 1968م مجلد: 14. 358.